

الدكتور
صديق السيد رمضان

الدكتور
صديق السيد رمضان

الذكر والذاكرون

- معاني كلمة الذكر.
- مكانة الذكر في الكتاب والسنة
- أنواع الذكر.
- ردود على اشكالات.
- التحذير من ترك الذكر.
- أهمية الذكر في حياة المؤمن.
- آثار الذكر الصحية وانعكاساته على فيزيولوجية الجسم.
- حكم الحركة في الذكر

مراجعة وتقديم
العلامة الشيخ ابراهيم اليعقوبي

الطبعة الاولى

١٣٩٨ - ١٩٧٨

بموافقة وزارة الاعلام رقم ٦٩٣٨ تاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٧٨

تقديم العلامة

الشيخ إبراهيم اليعقوبي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم الفاضل الدكتور صديق السيد رمضان المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

قد راجعت هذا الكتاب الجليل ، وقرأت أبحاثه كلها بتدبر وإمعان ، فوجدتها كافية شافية ؛ لذلك فاني أحمد الله الذي وفقكم للقيام بمثل هذا العمل الكبير ، وأتمنى لكم مزيداً من التوفيق لمتابعة مثل هذه المواضيع على ضوء من نور القرآن والسنة وأقوال العلماء والفقهاء ، وعلى هدى من نور البصيرة والمعرفة ؛ حيث تتجلى الحقيقة واضحة جلية (لمن كانَ له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهوَ شهيدٌ) ؛ بالإضافة لما حليتَ به هذا الكتاب من بحث طبي يبين مدى أهمية ذكر الله تعالى ؛ بالنسبة للطمأنينة النفسية ، والراحة الفكرية ، والنشاط الروحي ، وتنوير القلب ، وزوال القلق والاضطرابات التي من شأنها أن تغمس الانسان في جحيم الأمراض المتنوعة ، والأزمات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية (ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُ القلوبُ) .

وهذا المنهج الذي اتبعته في هذا الكتاب وقدمته للناس هو منهج واضح ، ومورد عذب ، ومنهل فياض ، وهو في الحقيقة قبس من مشكاة الهدي النبوي والدعوة المحمدية التي يشير إليها القرآن الكريم بقوله تعالى : (قلْ هذه سبيلي أدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ أنا ومنِ اتَّبعنِ) .

هذا وأرجو الله تعالى أن ينفع الناس بهذا الكتاب ، ويجعله وسيلة للخلق في نيل سعادة الدارين ، والفوز برضاء رب العالمين والقرب منه جل جلاله .

وحسب الذاكرين من فوائد الذكر الكثيرة التي لاتعد ولاتحصى مما جاء في الكتاب الكريم والسنه المطهرة حسبُهم من ذلك قوله سبحانه في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » . اللهم أحينا ذاكرين ، وتوفنا ذاكرين ، واحشرنا في زمرة الذاكرين تحت لواء سيد الذاكرين ، سيدِنا ومولانا محمدٍ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

١٢ /جمادى الأولى / ١٣٩٨ ه   ابراهيم يعقوبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جازى عباده الذاكرين بذكره لهم بمحض فضله ومنّه فقال: (فاذكروني أذكركم). وصلى الله على سيدنا محمد - الذاكر لربه على كل أحيانه - وعلى آله وصحبه، ومن اتبع سنته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه رسالة مختصرة ضمنتها موضوع الذكر ومكانته في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأهميته وضرورته للمؤمن في إيمانه وطمأنينة قلبه وصحة جسمه، ولاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن؛ فبات المؤمن مهدداً في عقيدته بالتيارات الفكرية الضالة، وطغيان المقاييس المادية، وكثرة المنكرات والفواحش.

وإن ماقدمته الحضارة من راحة لجسم الانسان وإهمال لروحه زادت متاعبه النفسية، وعقدت حياته مما

انعكس على صحة بدنه وأدى إلى اضطراب التوازن الفيزيولوجي لجسمه ، فازدادت الأمراض ذات المنشأ النفسي الجسدي ، وهذه ظاهرة واسمة لهذا العصر . فأشار الأطباء الذين لهم اختصاص بهذا النوع من الامراض إلى ضرورة الطمأنينة والهدوء النفسي في سلامة الجسم من هذه الامراض .

والذكر من أهم العوامل الباعثة لطمأنينة القلب وهدوء النفس ، فيقول الله تبارك وتعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فأرجو الله عز وجل أن ينفع بهذه الرسالة كل مؤمن استأنس بالله ذاكراً ، وبهدي المصطفى ﷺ مسترشداً ، والحمد لله رب العالمين .

في ١ / ربيع الأول / ١٣٩٨
٨ / شباط / ١٩٧٨

الدكتور
صديق السيد رمضان


الذِكرُ

معاني كلمة (الذكر)

وردت كلمة [الذكر] في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بعدة معان ، فتارة قُصد بها [القرآن الكريم] كما في قوله تعالى: (إنا نحنُ نزلنا الذكرَ وإنّا لهُ لحافظون)«١» وتارة أُريدَ بها [صلاة الجمعة] كما في قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إذا نوديَ للصلاةِ منْ يومِ الجُمُعَةِ فاسعَوْا إلى ذكرِ اللهِ)«٢» وفي موطن آخر عُني بها [العلم] كما في قوله جلّ وعلا : (فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون .) «٣»

وفي معظم النصوص أُريدَ بكلمة [الذكر] التسبيحُ والتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار وغيرها

١ ـ سورة الحجر آية (٩)
٢ ـ سورة الجمعة آية (٩)
٣ ـ سورة الأنبياء آية (٧)

من الصيغ والألفاظ التي ورد الترغيب بها وطلب الإكثار منها ، كقوله تعالى : (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)[1] . وقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً)[2] . وقوله تعالى : (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا)[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه »[4] .

وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال : يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به

---

١ ـ سورة النساء آية (١٠٢)
٢ ـ سورة الأنفال آية (٤٥)
٣ ـ سورة المزمل آية (٨)
٤ ـ رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والامام احمد في مسنده والحاكم كما في فيض القدير ج ١ ص ١٠٩

قال : « لايزال لسانُك رطباً من ذكر الله »(١)(٢)

وأما ماقاله بعضهم : إن مجالس الذكر هي مجالس العلم بالحلال والحرام، فجوابه : هو أن العلم بالحلال والحرام مطلوب شرعاً، بل العلم تعتريه الأحكام الخمسة بحسب العلم والمتعلم، وقد رغبنا ربنا تبارك وتعالى بطلب العلم بآيات كثيرة معروفة، وحثنا النبي ﷺ على طلبه بأحاديث عديدة، فالذكر له أبوابه في كتب الحديث وكتب العلوم الشرعية الأخرى، كما أن للعلم أبوابه في تلك الكتب، وكما أن الذكر لايحُل محل العلم، فكذلك العلم لايحل محل الذكر، والمؤمن مطالَب بكل منهما، حيث

---

١ ـ رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٢ ـ انظر كتاب حقائق عن التصوف ص ١٣٢ ـ ١٣٣

وردت في الأمر بالذكر والترغيب فيه ، والتحذير من تركه آيات كثيرة تصل إلى المئة ، ولم يأمرنا القرآن الكريم بالإكثار من طاعة سوى الذكر . فوردت عدة آيات تحث على الإكثار منه كقوله تعالى : (فاذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فاذكُروا اللهَ كَذِكرِكُمْ آباءَكُم أو أشَدَّ ذِكراً)«١» . وقوله سبحانه : (إنَّ المسلمين والمسلمات - إلى قوله تعالى - والذاكرينَ اللهَ والذاكراتِ أعَدَّ اللهُ لهم مَغْفِرَةً وأجراً عظيماً) «٢» .

وقوله جل وعلا : (ياأيها الذينَ آمَنوا اذكُروا اللهَ ذِكراً كثيراً وسَبِّحوهُ بُكْرَةً وأصيلاً)«٣» .

---

١ - سورة البقرة آية (٢٠٠)
٢ - سورة الأحزاب آية (٣٥)
٣ - سورة الأحزاب آية (٤١ - ٤٢)

وقوله تعالى : (وابْتَغوا مِنْ فَضْلِ اللهِ واذكُروا اللهَ كثيراً لعلَّكُم تُفْلِحون .)[1] يقول الإمام النووي : [سئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات فقال : إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً ، وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات . ونقله العلامة ابن علاّن في كتابه دليل الفالحين ج ٧ ص ٢٢٩ .

وقال ابن عباس : المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات وعشياً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى .

---

١ - سورة الجمعة آية (١٠)

وقال مجاهد : [لايكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعداً ومضطجعاً .][1]

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر . . . ـ إلى أن قال ـ فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء . قال : يسألهم الله عز وجل وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك . . . ـ إلى أن قال ـ قال فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاروا . . . الحديث »[2] .

---

١ ـ كتاب الأذكار ص ١٠

٢ ـ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما كما في الترغيب و الترهيب ج ٢ ص ٤٠٢

يسبحونك : أي يقولون سبحان الله ـ يكبرونك : أي يقولون الله أكبر ـ يهللونك : أي يقولون لا إله إلا الله ـ ويحمدونك : أي يقولون الحمد لله ـ ويسألونك : أي يدعونك .

لو لم يرد غير هذا الحديث الصحيح لكان كافياً في الجواب على من قال مقالته : ففي الحديث ذِكْرُ مجالس الذكر وأنها مجالس التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والدعاء .

[وإن لفظ الذكر مشترك ، فقد يأتي بمعنى العلم والصلاة والقرآن كما سبق ذكره ؛ لكن المعتبر في اللفظ المشترك ماغلب استعماله فيه عرفاً . وغيره إنما يصرف إليه بقرينة حالية أولفظية . ولفظ الذكر قد غلب استعماله في ذكر الله حقيقة ، ومن غير الغالب أن يطلق ويراد به العلم . كما في قوله تعالى : (فاسْألوا أهْلَ الذِّكْرِ) فالمراد به هنا العلم بقرينة السؤال .]«١» .

---

١ ـ حقائق عن التصوف ص ١٣٣

الذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد. ويثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون المقبلون على الله تعالى "١".

يقول العلامة ابن القيم الجوزية "٢" : [والذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وإذا واطأ في ذكره قلبه لسانه نسي في جنب الله كل شيء، وحفظ

---

١ - انظر كتاب حقائق عن التصوف ص ١٣٠

٢ - ابن القيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين. من أركان الاصلاح الاسلامي. وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تتلمذ على ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. (عن الاعلام للزركلي)

الله عليه كل شيء ، وكان له عوضاً من كل شيء ، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين ، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء .

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، مالم يغلقه العبد بغفلته ، وهو روح الأعمال الصالحة ، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه] "١"

ويتابع ابن القيم كلامه فيقول : [وقد بين الله عز وجل مكانة الذكر بآيات كثيرة على صور مختلفة ؛ من الأمر به ، أو الترغيب فيه ، أو بيان فضله وفضل أهله ، أو التحذير من تركه والاشتغال بغيره ، على عشرة أوجه :

الأول : الأمر به مطلقاً ومقيداً كقوله تعالى :

---

١ ـ مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ج ٢ ص ٤٢٤ باختصار

(يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً .)[1]

الثاني : النهي عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى : (ولاتكن من الغافلين)[2] وقوله سبحانه : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم .)[3]

الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى : (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .)[4]

الرابع : الثناء على أهله ، والإخبار بما أعد الله

---

١ - سورة الأحزاب آية (٤١ - ٤٢)
٢ - سورة الأعراف آية (٢٠٥)
٣ - سورة الحشر آية (١٩)
٤ - سورة الجمعة آية (١١)

لهم من الجنة والمغفرة كقوله تعالى : (إنَّ المُسْلِمين والمُسْلِمات . . . ـ إلى قوله تعالى ـ والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات أعدَّ اللهُ لهُم مَغْفِرَةً وأجْراً عظيماً .)"[1]

الخامس : الإخبار عن خسران من لها عن الذكر بغيرة كقوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُمْ ولا أولادُكمْ عَنْ ذِكْرِ الله ، ومَنْ يفْعَلْ ذلك فأولئك همُ الخاسِرونَ .)"[2]

السادس : أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له كقوله تعالى : (فاذْكُروني أذْكُرْكُمْ واشْكُروا لي ولا تَكفُرونِ .)"[3]

---

١ ـ سورة الأحزاب آية (٣٥)
٢ ـ سورة المنافقون آية (٩)
٣ ـ سورة البقرة آية (١٥٢)

السابع : الإخبار بأنه أكبر من كل شيء ، كقوله تعالى : (اُتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ مِنَ الكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أكبَرُ .)[1]

وفيها عدة أقوال :

١ ـ أن ذكر الله أكبر من كل شيء ، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكر الله ، فهو سر الطاعات وروحها .

٢ ـ أن المعنى : أنكم إذا ذكرتموه ذَكَرَكُمْ ، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له .

٣ ـ أن المعنى وَلَذِكرُ الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر ، بل إذا تم الذكر ، محق كل خطيئة

---

١ ـ سورة العنكبوت آية (٤٥)

ومعصية ، هذا ماذكره المفسرون .

الثانى : **أنه** عز وجل جعل الذكر خاتمة **الأعمال** الصالحة كما كان مفتاحها ، فكما ختم به عمل الصيام بقوله سبحانه وتعالى : (وَلِتُكمِلوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّروا اللهَ على ما هَداكُمْ ولَعَلَّكُم تَشكُرون .)«١»

وختم به الحج في قوله تعالى : (فإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فاذكروا اللهَ كَذِكرِكُمْ آباءَكم أَو أَشَدَّ ذِكراً .)«٢»

وختم به الصلاة كقوله تعالى : (فإِذا قَضَيتُمُ الصلاةَ فاذكُروا اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِكُمْ .)«٣»

---

١ ـ سورة البقرة آية (١٨٥)
٢ ـ سورة البقرة آية (٢٠٠)
٣ ـ سورة النساء آية (١٠٣)

وختم به الجمعة كقوله سبحانه : (فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا في الأرضِ وابْتَغوا مِن فَضْلِ اللهِ واذْكُروا اللهَ كثيراً لعلَّكُمْ تُفلِحونَ .)"١"

التاسع : الإخبار عن الذاكرين بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته ، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالى : (إنَّ في خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ الذينَ يَذكرون اللهَ قياماً وَقعوداً وَعلى جُنوبِهِمْ .)"٢"

العاشر : أن الله تعالى جعله قرين الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح فانه سبحانه

---

١ - سورة الجمعة آية (١٠)
٢ - سورة آل عمران آية (١٩٠ - ١٩١)

وتعالى قرنه بالصلاة كقوله : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)«١» وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه كما مرت الآيات في ذلك بل هو روح الحج ولُبه ومقصوده . كما قال النبي ﷺ : « إنما جُعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورميُ الجمار لإقامة ذكر الله . »«٢»]«٣»

---

١ ـ سورة طـه آية (١٤)
٢ ـ رواه الترمزي في سننه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بدون الطواف ـ وقال حديث حسن صحيح ـ
٣ ـ كتاب مدارج السالكين للعلامة ابن القيم الجوزية ج٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٨

لقد وردت أحاديث عديدة تبين فضل الذكر وفضل أهله وسأختار بعضاً منها على سبيل البيان لا الحصر :

أولا ـ الذكر هو خير الأعمال وأزكاها وأرفعها في درجات المؤمن . عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخيرٍ لكم من إعطاء الذهب والورِق ، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال : ذكر الله عز وجل . »[1]

---

١ ـ رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم في كتابه المستدرك على الصحيحين وقال : ـ هذا الحديث صحيح الاسناد ـ ذكره النووي في كتابي الاذكار ورياض الصالحين .

يقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام[1] : [وإنما فُضِّل الذكر على سائر الأعمال لأنه مقصود في نفسه، ووسيلة إلى حصول الأحوال الناشئة عنه التي تنشأ عنها الاستقامة في الأقوال والأعمال - إلى أن قال - وذِكرُ الجَنانِ - أي القلب - أفضلُ من ذكر اللسان لأنه منشأ الأحوال ، وقد يحضر ذكر الصفات الموجبة للأحوال من غير قصد ولا تكلف استحضار ، وذلك غالب من الأنبياء والأولياء وغلبته على الأنبياء أكثر منها على الأولياء .][2]

---

١ - هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهراً وعاد إلى دمشق وخرج إلى مصر فولي القضاء والخطابة والأمر والنهي توفي بالقاهرة عام ١٢٦٢ هـ .

٢ - قواعد الاحكام لشيخ الاسلام العز بن عبد السلام ج٢ ص٢٠١

ثانيا - الذاكرون هم أهل السبق : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له جُمْدان[١] فقال : « سيروا هذا جُمْدان ، سبق المفَرِّدونَ ، قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات . »[٢]

ثالثا - مجالس الذكر هي رياض الجنه عن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة . قلنا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ فقال : مجالس الذكر . »[٣]

---

١ - جمدان بضم الجيم وسكون الميم : جبل على ليلة من المدينة

٢ - رواه مسلم في صحيحه .

٣ - رواه الامام أحمد في مسنده والترمذي .

رابعا - الذاكر حي والغافل ميت . عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكره مثل الحي والميت . »[1]

ولفظ مسلم : « مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت » .

يقول العلامة ابن القيم الجوزية عند ذكره للحديث : [فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي ، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر ، وفي اللفظ الأول : جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت ، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الاحياء ، والغافل كالميت في بيوت الاموات . ولاريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم ، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور [2]] .

---

١ - رواه البخاري ومسلم فيصحيحيهما واللفظ للبخاري .

٢ - مدارج السالكين ج٢ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

خاصا - ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله . عن معاوية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ماأجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ، ومنَّ به علينا . قال : آلله ماأجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا والله ماأجلسنا إلا ذلك . قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل ، فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة . »[1]

والأحاديث في ذلك كثيرة مبسوطة في كتب الأذكار .

---

١ - رواه مسلم في صحيحه والترمذي .

انواع الذكر

أ - ذكر السر والجهر

لقد رغَّبَ النبي ﷺ بنوعي الذكر السري والجهري ، وقد وردت أحاديث كثيرة بعضها بفضل ذكر السر ، وبعضها الآخر بفضل ذكر الجهر ، إلا أن العلماء جمعوا بينها ؛ فتقرر بأن ذكر الجهر هو أفضل من ذكر السر إن لم يكن ثمة محظور شرعي . وقد صنف الإمام جلال الدين السيوطي رسالة عنوانها [نتيجة الفكر في الجهر بالذكر] قال فيها : [وقد جمع النووي بينهما - أي بين الأدلة - بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء ، أو تأذى به مصلون أو نيام . والجهر أفضل في غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ القارىء ، ويجمع همه إلى

الفكر ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط].[1]

وقال العلامة الكبير الشيخ محمود الألوسي[2] في تفسيره روح المعاني، عند تفسير قوله تعالى. (وإنْ تجهرْ بالقولِ فإنَّه يعلمُ السرَّ وأخْفى)[3] : وقيل : نُهيَ عن الجهر بالذكر والدعاء، لقوله تعالى: (واذكُرْ ربَّكَ في نفسِكَ تضرُّعاً وخيفَةً ودونَ الجهْرِ مِنَ القَولِ)[4]، وأنت تعلم أن القول بأن الجهر بالذكر والدعاء منهي

---

١ ـ الحاوي للفتاوي ج٢ ص ١٣٣

٢ ـ هو العلامة الشيخ محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٨٠٢ ـ ١٨٥٤ هـ) شهاب الدين أو الثناء مفسر ـ محدث ـ أديب من المجددين من أهل بغداد ـ مولده ووفاته فيها كان سلفي الاعتقاد ـ مجتهداً . عن الأعلام

٣ ـ سورة طه آية (٧)

٤ ـ سورة الأعراف آية (٢٠٥)

لاينبغي أن يكون على إطلاقه . والذي نص عليه الإمام النووي رضي الله عنه في فتاويه : أن الجهر بالذكر حيث لامحذور شرعاً ؛ مشروع مندوب إليه ، بل هو أفضل من الإخفاء في مذهب الإمام الشافعي ، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد ، وإحدى الروايتين عن الإمام مالك بنقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري . وهو قول القاضيخان في فتاويه في ترجمة مسائل كيفية القراءة ، وقوله في باب غسل الميت . [ويكره رفع الصوت بالذكر] فالظاهر أنه لمن يمشي مع الجنازة كما هو مذهب الشافعية ، لامطلقاً .
وقال الألوسي أيضاً : فقد صح مايزيد على عشرين حديثاً في أنه ﷺ كثيراً ما كان يجهر بالذكر ، وصح عن أبي الزبير رضي الله عنه قوله : كان رسول ﷺ إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى : « لاإله إلا الله ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل » . إلى أن

قال : وقد ألف الشيخ ابراهيم الكوراني[1] عليه الرحمة في تحقيق هذه المسألة رسالتين جليلتين سمّى أولاهما [نشر الزهر في الذكر بالجهر] . وثانيتهما [إتحاف المنيب الأواه بفضل الجهر بذكر الله] .

وقال ابن عابدين[2] في حاشيته الشهيرة بعد كلام طويل : [وفي حاشية الحموي عن الإمام الشعراني : أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصل أو قارىء] .[3]

---

١ - هو ابراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني الشهرزوري الكوراني برهان الدين : مجتهد من فقهاء الشافعية ، عالم بالحديث ، قيل إن كتبه تنيف على الثمانين . سمع الحديث بالشام ، ومصر والحجاز ، وسكن المدينة وتوفي بها عام (١١٠١هـ) ودفن بالبقيع .
٢ - هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي . فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره توفي عام (١٢٥٢) هـ .
٣ - حاشية ابن عابدين ج٥ ص٢٦٣ .

ب - ذكر اللسان وذكر القلب :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : [أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدِث والجنب والحائض والنفساء ، وذلك في التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء ونحو ذلك]"١".

وقال أيضاً : [الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل . ثم لاينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ، ويقصد به وجه الله تعالى . قال الفضيل بن عياض رحمه الله : إن ترك العمل لأجل الناس رياء ، ولو فتح الانسان عليه باب ملاحظة الناس والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لانسدّ عليه

---

١ - الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ج١ ص١٠٦ - ١٠٩ لابن علان .

أكثر أبواب الخير ، وضيع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين ، وليس هذا طريق العارفين] [1]

ج - الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة :

العبادات مع الجماعة - وفيها ذكر الله تعالى - تزيد في الفضل على العبادة في حالة الانفراد ، ففي الجماعة تلتقي القلوب ، ويكون التعاون والتجاوب ، وترتفع الهمم فيستفيد الضعيف من القوي ، والمظلم من المنور .

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « مامن قوم يذكرون الله إلاّ حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [2]

---

١ - الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ج١ ص١٢٧ لابن علان

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه والترمذي والحاكم .

وعن أنس أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : حِلَقُ الذكر »[1]

قال العلامة ابن علان شارح الأذكار في معنى الحديث : [والمعنى : إذا مررتم بجماعة يذكرون الله فاذكروا موافقة لهم ، أو اسمعوا أذكارهم ، فإنهم في رياض الجنة حالاً أو مآلاً قال الله تعالى : (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ ربِّهِ جنَّتانِ)][2].

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض ذكر الله تعالى مع الجماعة : [وقد شبه الإمام الغزالي ذكر الإنسان وحده وذكر الجماعة بأذان المنفرد وأذان الجماعة ، قال : فكما أن أصوات المؤذنين جماعة تقطع جِرم الهواء

---

١ ـ رواه الترمذي والإمام أحمد .

٢ ـ الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: ج١ ص٩٤

أكثر من صوت المؤذن الواحد ، كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة من ذكر شخص واحد]"[1].

وأما الذكر منفرداً فله أثر فعال في صفاء القلب وإيقاظه ، وتعويد المؤمن على الأنس بربه والتنعم بمناجاته والشعور بقربه . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله . . . وذكر منهم : ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »[2].

د ـ الذكر المقيد والذكر المطلق :

أما الذكر المقيد فهو الذكر الذي رغَّب فيه النبي ﷺ مقيداً بزمان أو مكان أو حالة ؛ كالأذكار بعد الصلاة ،

---

١ ـ حاشية ابن عابدين ج٥ ص٢٦٣

٢ ـ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وأذكار دخول المسجد والخروج منه ، ودخول البيت والخروج منه ، وأذكار المسافر ، وأذكار الشارب والآكل والنكاح ، وأذكار الحج ، والأذكار لدفع المصائب ، وعند المرض والاحتضار ، وعند رؤية الهلال . . . وغيرها من أذكار مبسوطة في كتب الأذكار .

ـ وأما الذكر المطلق فهو مالم يقيد بزمان أو مكان أو حالة . . . فقد وردت آيات كثيرة فيه منها ماذكرناه في أول الرسالة كقوله تعالى : (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) «١» . ومن الأحاديث ماروته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» «٢» .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما [لم يفرض الله

---

١ ـ سورة الجمعة آية (١١) .

٢ ـ رواه مسلم في صحيحه .

تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله ، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها ، فقال عز من قائل : (فاذْكُرُوا اللهَ قياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِكُمْ)[1] ـ وقال تعالى : (ياأيها الذينَ آمَنوا اذكُروا اللهَ ذِكراً كَثيراً)[2]. أي بالليل والنهار ، وفي البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، وفي الصحة والسقم ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال][3].

---

١ ـ سورة النساء آية (١٠٣) .
٢ ـ سورة الأحزاب آيه (٤١) .
٣ ـ نور التحقيق لحامد صقر ص١٤٧ .

حكم الذكر بالاسم المفرد «الله»

أما الذكر بالاسم المفرد (الله) فهو جائز وداخل بعموم آيات الترغيب بذكر الله تعالى بدليل قوله تعالى: (وَاذكرِ اسمَ رَبِّكَ وتبتَّلْ إليْهِ تبْتيلاً)«١».

يقول ابن كثير في تفسيره: [أي أكثر من ذكره وانقطع إليه]«٢». وقوله تعالى: (وَاذكرِ اسمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصيلاً)«٣».

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لاتقوم الساعة حتى لايُقالَ في الأرض: الله، الله»«٤».

---

١ - سورة المزمل آية (٨).
٢ - تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٣٧.
٣ - سورة الانسان آية (٢٥).
٤ - رواه مسلم في صحيحه، والترمذي و لامام أحمد.

قال العلامة علي القاري[1] في شرح هذا الحديث : [أي لا يُذكر اللهُ فلا تبقى حكمة في بقاء الناس ، ومن هذا يُعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين ، وهو المراد بما قال الطيبي رحمه الله : معنى حتى لا يقال : (الله ، الله) حتى لا يذكر اسم الله ولا يعبد][2].

وأما اعتراض ابن تيمية على الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لا يؤلف جملة ؛[3] فجوابه ماقاله العلامة الخادمي :

---

١ ـ الملا علي القاري : علي بن محمد سلطان الهروي نور الدين : فقيه حنفي ، من صدور العلم في عصره ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها عام (١٠١٤ هـ) .

٢ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ج٥ ص٢٢٦ .

٣ ـ وهذا لو سلمناه جدلاً فلا دليل عليه ، لأن نصوص القرآن الكريم أيضاً تخالفه كقوله تعالى : (قل الله ثم ذرهم في خوضهم =

واعلم أن اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي واسماعيل بن اسحق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء ، وهو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية ومحققي العارفين ؛ فإنه لاذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم (الله) مجرداً . قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : (قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ) وقال أيضاً : (اذكرِ اسمَ رَبِّك . . .) واسم ربنا (الله) .

= يلعبون) . وكقوله (ولئن سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن : الله) وهذه كلها أدلة على جواز الذكر بالاسم المفرد وليس له أي دليل على عدم جواز الذكر بالاسم المفرد ، وليس هناك أحد من العلماء رأى عدم جواز الذكر بالاسم المفرد إلا بجملة سواه ، على أنه بعد هذا كله لم يتذكر القاعدة النحوية التي تجيز حذف أداة النداء من المنادى ، كقوله تعالى : (يوسف أعرض عن هذا . . .) واصله (يايوسف) . فقول الصوفية في ذكرهم =

وقال العلامة المحدث المناوي شارحاً حديث رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه »[1] : [فهو مع من يذكره بقلبه ، ومع من يذكره بلسانه ، ولكن معيته مع الذكر القلبي أتم ، وخص اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأولى ، لكن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه . إلى أن قال : قالوا وليس للمسافر إلى الله في سلوكه

=

(الله الله) إنما هو نداء بحذف أداة النداء وأصله (ياالله ياالله) والمنادى عند النحويين مفعول به لفعل محذوف . أصل الكلام (أدعو الله) . فالذكر إذن إنما هو بجملة وليس بمفرد فاعتراضه في غير موضعه . اهـ للعلامة اليعقوبي

١ ـ أخرجه الامام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة .

أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيار وهو (الله) . وقد ورد في حقيقة الذكر وآثاره وتجلياته مالايفهمه إلا أهل الذوق]"[1] .

يقول العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة عند شرح البسملة وبحثه عن لفظة (الله) : [روى هشام عن أبي حنيفة أنه ـ أي الله ـ اسم الله الأعظم ، وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء ، وأكثر العارفين . حتى إنه لاذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في شرح التحرير لابن أمير حاج]"[2] .

---

١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ج٢ ص٣٠٩ .

٢ ـ حاشية ابن عابدين ج١ ص٧

الذاكرون

التحذير من ترك الذكر

وردت آيات كثيرة وأحاديث عديدة في التحذير من ترك الذكر، كقوله تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيطاناً فهو لهُ قَرِينٌ. وإنَّهم لَيَصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحسَبُونَ أنَّهم مُهتَدونَ)«١». وقوله سبحانه وتعالى: (واذكُر ربَّكَ في نفسِكَ تضرُّعاً وخيفَةً ودونَ الجَهْرِ مِنَ القولِ بالغُدُوِّ والآصالِ ولاتكنْ مِنَ الغافِلِينَ)«٢».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مامن قوم يقومون من مجلس لايذكرون فيه الله إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة

---

١ - سورة الزخرف آية (٣٦ - ٣٧).
٢ - سورة الأعراف آيه (٢٠٥).

يوم القيامة »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال . قال رسول الله ﷺ : « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله حسرة ، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كان عليه من الله تِرَةٌ ، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة »[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم ، إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم »[3].

---

١ - أخرجه أبو داوود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . كما في الترغيب والترهيب ج٢ ص٤١٠

٢ - رواه ابو داوود في سننه ، والامام أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه ، واللفظ لأبي داوود . والترة : النقص والتبعة والحسرة والندامة .

٣ - رواه أبو داوود في سننه ، والترمذي وقال : حديث حسن :

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها »[1].

---

١ ـ أخرجه الطبراني ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد .

★ ★ ★ ★

أ - الذكر ناهٍ عن الفحشاء والمنكر :

أمام هذه الشهوات البهيمية التي تتواجد مثيراتها في كل مكان يحتاج المؤمن إلى ناهٍ قوي ينهاه عن التوحل ببراثن هذه المنكرات والفواحش . والذكر من أكبر الموانع التي تحول بين المؤمن وبين ارتكاب هذه المعاصي والمنكرات ؛ يقول الله تعالى : (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفحشاءِ والمُنكَرِ ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ)"[1]".

قال ابن عطية : [ولذكر الله أكبر على الإطلاق ؛ أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك ، وكذلك يفعل في غير الصلاة؛ لأن

---

١ - سورة العنكبوت آية (٤٥) .

الانتهاء لايكون إلا من ذاكرٍ لله مراقب له][1].

ولما كانت ثمرة الذكر حُضور القلب كما يقول النووي[2] فإذا حضر القلب استحضر عظمة الله وجلاله ، فيستصغر المعاصي ويستحقرها ؛ فتعافها نفسه ولا تلتفت إليها .

ب - الذكر جالٍ للقلب واقٍ للمؤمن من الفتن :

إن القلوب الغافلة تصدأ كما قال عليه الصلاة والسلام :

« إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار »[3].

وإذا صدأت أظلمت وقست ؛ وعندها تتهيأ لقبول الفتن الفكرية الضالة ، أوالفتن الشهوانية البهيمية (لِيَجْعَلَ ما يُلقي الشَّيطانُ فِتنةً لِلذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ

---

١ - تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٤٩

٢ - الأذكار ص١٠ .

٣ - أخرجه الحكيم الترمذي والبيهقي والطبراني .

لاتقوى على إضلاله والتغرير به . عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فان ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه »[1] .

بينما الغافل عن ذكر الله تعالى الذي صدأ قلبه وأظلم ؛ بسبب غفلته فإنه يتخبط بين تصديق وتكذيب لهذه الخواطر والوساوس ، فيبقى معذباً قلبياً ونفسياً ، كما وصفه الله تعالى بقوله : (وَمَنْ أَعرضَ عن ذِكري فإنَّ لهُ مَعيشةً ضَنْكاً)[2] .

د ـ الذكر يزيد من إيمان المؤمن :

الذاكر ربه مجالس له مقبل عليه يناجيه ، ويثني

---

١ ـ رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي ـ كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .
٢ ـ سورة طه آية (١٢٤) .

عليه ولا يحصي ثناء عليه ، فيصفو قلبه وتتكشف له عيوبه ، فيتخلص منها ، ويشعر بحاجته إلى الله في كل لحظة ونفس ، ويتذوق أن الله هو العزيز الصمد ، وأن لاحول له ولا قوة إلا بالله ، وأن الله بيده الأمر من قبل ومن بعد ، فلا يعتمد إلا على الله ، ولا يرجو إلا إياه ، فيزداد خشية من الله ، وتعظيماً لجلال الله ، وثقة بوعد الله ، وخوفاً من وعيده ؛ فتنمو عنده مراقبة الله حتى يعبده وكأنه يراه .

لذلك كان بعض الصحابة يتنادون لذكر الله ليتذوقوا حلاوة الإيمان عن أنس رضي الله عنه قال : « كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة . فقال النبي ﷺ : يرحم الله ابن رواحة إنه يحب

المجالس التي تتباهى بها الملائكة »[1].

أما الغافل عن ذكره فإنه يُخشى عليه أن ينسى كلمة التوحيد ، وإذا غفل عنها فإنه يعمل بغير مقتضاها ، فيرجو الخلق بدلاً من أن يرجو الله ، ويخشى الناس بدلاً من خشية الله ، ويتوكل على المخلوق بدلاً من توكله على الخالق . وتأمره نفسه الأمارة بالسوء فيطيعها ويعصى بارئها ، فيضعف إيمانه ؛ لأن الإيمان يزداد بالطاعات حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص بالمعاصي حتى يدخل صاحبه النار . لذلك أمر النبي ﷺ بعض الصحابيات بذكر الله لئلا يغفلن فينسين التوحيد . عن يسيرة وكانت من المهاجرات قالت . قال رسول الله ﷺ : « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤلات ومستنطقات »[2].

---

١ ـ رواه أحمد بإسناد حسن كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٣.
٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داوود والترمذي والحاكم .

آثار الذكر الصحية
وانعكاساته على فيزيولوجية الجسم

إن العلاقة الإيجابية بين الروح والمادة كانت تلاحظ منذ القديم ، بمفاهيم حدسية مقتصرة على ملاحظات بعض الأطباء الحاذقين ذوي الخبرة ، لكنها لم تفسر بشكل علمي وتثبت بشكل محسوس إلا بعد أن تقدمت العلوم الطبية ؛ ولاسيما الكيمياء الحيوية ، فاستطيع كشف التبدلات الفيزيولوجية أثناء التعرض للاثارات النفسية ، أو الانفعالات العاطفية . وخلاصتها : [أن التغيرات الجسدية لدى الفرد يمكن أن تنطلق بفعل مؤثرات نفسية ، كما يمكن أن تنطلق بتأثير الجراثيم والسموم ، وإن الاستجابات الفيزيولوجية التي تنشأ عن الانفعالات النفسيه في وسعها أن تؤدي إلى اضطرابات في وظائف أي عضو من أعضاء الجسد]"[1]".

---

١ ـ مجلة العلوم ـ العدد الثالث عام ١٩٦٣ ص١١ .

وفي هذا العصر الذي ازدادت فيه متاعب الإنسان النفسية بسبب زيادة متطلبات حياته وتعقدها ، فضلاً عن التفنن بالمعاصي التي قد تحقق بعض اللذائذ المؤقتة إلا أنها تعقب آلاماً نفسية تؤثر على التوازن الفيزيولوجي في بدنه . وأكبر دليل على ذلك كثرة نسبة الانتحارات في العالم ؛ ولاسيما المتحضر ، والتزايد الكبير في إنتاج وبيع المهدئات النفسية ومضادات الألم والمنومات : [فقد أشارت الإحصائيات الأميركية في عام /١٩٦٦/ إلى أنه قد صرف في الولايات المتحدة الأميركية وحدها مبلغ /٤١٢/ مليون دولاراً ثمناً للمهدئات النفسية و /٢٠٠/ مليون ثمناً للمسكنات ، و /٨٤/ مليوناً ثمناً للمنومات]"[١]".

---

١ ـ أثر الاضطرابات النفسية في الوظائف الغدية للدكتور أحمد دايمي رسالة جامعية ص٥٨ .

وهكذا فإن المعدل العام للوفيات ، ووفيات الأطفال وحوادث التيفوئيد والدفتريا والسل وغيرها من الأمراض الإنتانية قد هبطت هبوطاً واضحاً . ولكن بالمقابل فإن نسبة العقم والانتحار والقرحة المعدية والمعوية ، وضخامة الغدة الدرقية الجحوظي والداء السكري والأمراض القلبية وغيرها من الأمراض التي تقع في زمرة الأمراض النفسية الجسدية قد تزايدت تزايداً كبيراً جداً .«١»

ولذلك فقد بات من المؤكد أن الأعضاء والأجهزة التي يراد لها أن تقوم بوظائفها كاملة بشكل سوي وطبيعي لابد لها من نفسية مستقرة مطمئنة .

وقبل أن نتكلم بالآلية الفيزيولوجية التي توضح العلاقة بين الحالة النفسية والأمراض الجسدية لابد من معلومات تشريحية مبسطة .

---

١ ـ انظر المصدر السابق .

نظرة تشريحية :

يوجد في الجملة العصبية المركزية في الدماغ قشر الدماغ ذو اللون الرمادي وفيه مراكز الحس والحركة النفسية . . إلخ . وهناك منطقة مربعة رقيقة الأضلاع في متوسط المخ ، تسمى منطقة ماتحت السرير البصري تتألف من عدة نوبات رمادية ، فيها مراكز متعددة تسيطر على مجموعة وظائف الجملة العصبية الذاتية ، الودية ونظيرة الودية ، وتتداخل هذه المنطقة في التوفيق بين تفاعلات السلوك الفطرية والانفعالات والمزاج ، ولها علاقة صميمة بالمراكز النفسية ، وتعتبر منطقة ماتحت السرير البصري مركز تكامل وارتباط الظواهر العاطفية . وتخضع مراكز ماتحت السرير البصري إلى إشراف بعض التشكيلات في قشر المخ . وتوجد غدة قطرها المعترض /١٥ , م٠م والأمامي الخلفي / ٦ / م٠م

وهي الغدة النخامية في قاع الجمجمة على السرج التركي ، لها اشراف تام على جميع الغدد الصم . ولهذه الغدة صلة تشريحية وفيزيولوجية مع ماتحت السرير البصرى .

الآلية الفيزيولوجية لتأثير العضوية بالاحوال النفسية :

إذا تعرض الإنسان إلى إضطرابات نفسية ،كالانفعالات أو الشدّات ، فإن المراكز النفسية في قشر المخ تتنبه وهذا يؤدي إلى تنبه منطقة ماتحت السرير البصري ، ولما فيه من مراكز ودية ونظيرة الودية يزداد إفراز الأدرينالين والنورأدرينالين ، وأيضاً فإن ماتحت السرير البصري يرسل هرمونات عصبية فينبه الغدة النخامية ، مما يزيد من إفرازها للهرمونات الحاثة للغدد الصم ولاسيما الغدة الدرقية وهي غدة أمام العنق وتحت الحنجرة ، والغدد التناسلية وغدتي قشر الكظر ، وهما قشرتان صفراوان على قمتي

الكليتين . وهـذا التنبيه يؤدي إلى زيادة غير طبيعية في إفراز هرمونات هذة الغـدد منها التـيروكسين ، وهـو هرمون الدرق .

ويشير الدكتور الكساندر في كتابه المشهور [الطب النفسي الجسدي] إلى وجود نموذجين من الناس : نموذج يميل إذا ماواجهته شدة عاطفية أو انفعال إلى فرط النشاط ؛ أي بالإثارة الودية . ونموذج آخر يستجيب في مثل هذه الحالات بالانسحاب ؛ أي بالإثارة نظيرة الودية . ففي النمط الأول يميل إلى حدوث أمراض نفسية جسدية كارتفـاع التوتر الشرياني ، والداء السكري ، والتهـاب المفاصل نظير الرثوي ، وفرط نشاط الغدة الدرقية .

بينما في الحالة الثانية يميلون إلى الاضطرابات من نوع سوء الهضم ، والقرحه الاثني عشرية ، والإسهال

المزمن ، والإمساك والقولينج ، والربو القصبي ، وفي مثل ذلك فإن المعدة تستمر في عملية الهضم حتى في حالة عدم وجود الطعام فيها ، أي تهضم غشاءها المخاطي فتتكون فيها القرحة المعدية "١" .

ويقول فلويدراش : تدل الإحصائيات على أن نصف المرضى الذين يذهبون إلى استشارة الأطباء ؛ يندفعون إلى ذلك بسبب اضطراباتهم العاطفية ، وقد ثبت أن العوامل العاطفية أسهمت في تنمية القرحة المعديه ، وضغط الدم المرتفع ، والتهاب الأمعاء الغليظة ، والصداع ، والتهاب الجلد ، والسمنة المفرطة ، وضيق التنفس [الربو] : ثم إن من الأمثلة على الدور الذي تلعبه العاطفة في كيمياء الجسم هو

---

١ - الاضطرابات النفسية وأثرها على الوظائف الغدية للدكتور أحمد دايمي - رسالة جامعية -

الاكتشاف الجديد بأن الدموع التي تنهمر أثناء التأثر بالعاطفة تحتوي على كميات من الزلال تفوق تلك التي تكون في الدموع المنهمرة من جراء تقشير البصل "١".

الشدة النفسية وأثرها في الغدة الدرقية :

إن الانفعال والشدة يؤثر في الجملة العصبية المركزية [المراكز النفسية] ومنها عن طريق ماتحت السرير البصري ، تتنبه الغدة النخامية التي تفرز هرموناً حاثاً بكمية غيرطبيعية ، فيزداد إفراز الغدة الدرقيةمن التيروكسين ، فيؤثر هذا الهرمون على مزاج الانسان ، وعلى وظائف أعضائه ، فيؤدي إلى النزق والقلق ، وسرعة الانفعال والرجفان ، وقد تحدث ارتكاسات عصبية أشد إلى درجة العته ، وقد يؤدي إلى الجحوظ وهو بروز مقلتي العينين .

---

١ ـ مجلة العلوم العدد ٩ عام ١٩٦٣ ص ٣٥ .

الشدة وأثرها في الغدة الكظرية :

إن الشدة النفسية تؤدي إلى حث غدة الكظر على زيادة الإفراز ، فيزداد الأدرينالين ، وكذلك تؤدي إلى زيادة النورأدرينالين ومركبات الكاتشولامين .

ومعلوم أن الأدرينالين مقلد للودي ، مما يؤدي إلى تقبض الأوعية الدموية ، وارتفاع التوتر الشرياني ، وتسرع نظم القلب ، وتوسع الحدقة . بينما النورأدرينالين يؤدي إلى تقبض الحدقة ، ويبطئ القلب ، وهو مقبض للقصبات الرئوية ، ويؤدي إلى إفراز الأنسولين ؛ مما يؤدي إلى أعراض نقص السكر الوظيفي ، ويصاب به الأشخاص غير المستقرين عاطفياً ، وهم يشكون من القلق والتوتر ، وتبدو عليهم اضطرابات الحركة الوعائية ، وفرط التعرق والخفقان ، وتشنج الكولون والتعب الشديد والوهن العصبي .

الربو القصبي والشدة النفسية :

لقد دعم الدكتور [هوف] نظرية [هانس] في سياق حديثه عن معالجة الربو فقال : ليس من النادر أن نثير حدوث الربو في المرحلة الأولى بواسطة الحساسية [الأليرجيا] ، ولكنها تصبح بعد ذلك عبارة عن نقل تنظيمي ذاتي مستقل ، وهو غالباً يشكل منعكساً شرطياً مرتبطاً مع بعض الحالات والمركبات الإنفعالية ، وإن خطة المعالجة التي تهتم بالحالة النفسية هي فقط التي يكتب لها النجاح .

غالباً مايكون المصاب بالربو القصبي قلقاً وشديد الحساسية والمخاوف ، لذلك تثار نوبة الربو عنده بالانفعال والاضطراب النفسي ؛ حيث إن انقباض القصبات المحدثة بالإثارة الانفعالية يعمل عن طريق الجهاز اللمبي ، وما

تحت السرير البصري ، والعصب المبهم [نظير ودي] مؤدياً إلى زيادة صريحة في المقاومة القصبية .

تناذر فرط التهوية :

يأتي هذا التناذر على المصابين به بشكل نوبي ، فنجد المريض أثناء النوبة يشتكي من حس ضيق في الصدر ، أو حس اختناق . ونتيجة لذلك يقوم بحركات تنفسية عميقة وسريعة قد تصل بعضها إلى أرقام مخيفة . وبعد ذلك يشعر المريض بتشوش الفكر وبذعر ، ويصاب بخفقان وانقباض في ناحية القلب ، وضيق في ناحية الحلق ، وانزعاج في ناحية الشرسوف ، وقد يصاب باضطراب في الوعي دون غشي صريح . وقد يدوم هذا التناذر نصف ساعة أو أكثر ويمكن أن يعاوده عدة مرات في اليوم ، ويشكو المريض أيضاً من حس خدر ونمل في اليدين والقدمين وحول الفم .

إن هذا التناذر يحدث عند الأشخاص المصبين القلقين، وخاصة النساء اللاتي يشتكين عادة من اضطرابات وظيفية أخرى لها علاقة بالتوتر العصبي النفسي .

الصداع :

إن الشدة الانفعالية تؤثر من جهة عن طريق الجملة الحاشيوية ، والجملة العصبية الذاتية ، وماتحت السرير البصري ، فتفضي إلى ضيق في الأوعية يعقبه إتساع بصورة متناوبة .

ومن جهة أخرى فإن زيادة التوتر والقلق النفسي تؤدي إلى توتر عضلات القحف والنقرة وبالتالي إلى حدوث الصداع .

يقول الدكتور بارنس : إن الصداع النفسي المنشأ هو أكثر أنواع الصداع التي يصادفها الطبيب الممارس ، حيث تقدر نسبتها بتسعين في المئة "١".

---

١ ـ الاضطرابات النفسية .

القرحة الهضمية :

إن اضطراب الجملة نظيرة الودية يؤدي إلى فرط تشنج المعدة ، ومنه زيادة إفراز الحموضة المعدية التي تقوم بالتأثير على غشاء المعدة المخاطي أو الإثني عشري ، وبالتالي تحدث القرحة .

وكذلك فقد لوحظ من الدراسات العديدة المجراة في بريطانيا وأمريكا أن نكس واختلاطات القرحة الهضميه غالباً ماتكون مترافقة مع سورات الاستثارة والتهيج .

عُسرات الهضم :

كثيراً ماتشاهد عسرات الهضم لدى الأشخاص المعرضين للحزن والكآبة ؛ حيث تضعف عندهم العصارات الهاضمة كماً ونوعاً ، وبالتالي تبقى مواد طعامية غير تامة الهضم لايمكن امتصاصها ؛ فتتفسخ وتؤدي إلى انتفاخ الأمعاء ، فيضعف الجسم ويوهن ، وينعكس على النفسية

فيقع المريض بحلقة معيبة ، وكثيرٌ من حالات القَمَه [قلة الشهية للطعام] سببها نفسي ، لذلك ينصح المريض بتناول الطعام بأجواء سارّة ومع أشخاص يحبهم .

الشدة النفسية والانزفة التناسلية :

إن الاضطرابات النفسية قد تسبب نزوفاً تناسلية ، أو تسبب انقطاع الطمث . ويعد منها التوتر العصبي والقلق وعدم التوافق العائلي والإجهاد ؛ حتى إن العوامل النفسية قد تسبب أو تتدخل في إحداث نزوف البلوغ وسن اليأس .

وذكر لي الزميل الدكتور [ن ـ هـ] أنه جاءته حالة نزف رحمي شديد مفاجىء ، وبعد الفحوص السريرية والحكمية لم يقع على سبب مقنع لهذا النزف ؛ فعالجها معالجة عَرَضية إلا أنها فشلت في إيقاف النزف . وبعد أن ألح بالأستجواب تبين أن المريضة قد تعرضت لعملية اختطاف ،

وبنتيجة القلق والخوف والانفعال الشديد شعرت بهذا النزف الغزير والذي كان السبب في إنقاذها .

احتشاء العضلة القلبية :

ومن الأمراض الخطرة التي لها علاقة في إحداثها مع الحالة النفسية المضطربة والانفعال احتشاء العضلة القلبية [الجلطة] ، والخناق الصدري . إن الانفعال يزيد من احتياج القلب إلى التروية نتيجة لزيادة عمله ، فتظهر علامات نقص التروية القلبية ممثلة في الألم الصدري ، وهو خناق الصدر .

كما أن ازدياد عمل القلب بسبب الانفعال يؤدي إلى جرف وتحريك الخثرات الدموية الملتصقة على الوجه الداخلي لجدار القلب إن وجدت ، فإذا كان الدوران الإكليلي مؤوفاً يكفي ذلك الانفعال لحدوث الاحتشاء .

وثمة أمراض أخرى تسببها أو تزيد من شدتها الحالات النفسية الانفعالية . وما قدمناه من نظرة سريعة كافية لتبين أهمية الإيمان في حماية الإنسان من الضياع الفكري

والقلق النفسي وبالتالي لينعم بصحة جيدة .

يقول الدكتور هير فلد كبير الأطباء النفسيين في إنكلترا : [إنني مقتنع بأن الدين عامل من أحد العوامل وأقواها في إدراك سكينة النفس والطمأنينة والثقة التي تشتد إليها حاجة كثير من الناس لكي ينعموا بالصحة والقوة] .[1]

وأهم تعاليم الدين الحنيف ، التي تبعث الطمأنينة في القلب والاستقرار النفسي ذكر الله تعالى .

يقول الله تبارك وتعالى : (الذينَ آمَنوا وتَطْمَئِنُّ قلوبُهُمْ بِذكرِ اللهِ ألا بِذكرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوبُ)[2].

فطوبى للذاكرين الله تعالى في سعادة الدنيا بصحة أبدانهم ، وبطمأنينتهم ، لايكدر صفوهم غمّ ، ولايشغلهم همّ ، وفي الآخرة هم أهل السبق ، يأتون خفافاً قد غفر الله جميع ذنوبهم ، وأسكنهم فسيح جناته بفضله ومنّه .

---

١ ـ الاضطرابات النفسية ص٦٢ .

٢ ـ سورة الرعد آية (٢٨) .

حكم الحركة في الذكر

قد يتساءل القارئ : لماذا كان عنوان الموضوع حكم الحركة في الذكر والكلام فيه معظمه يدور حول الرقص ؟

فالجواب هو أن كلمة الرقص لاتطلق لغة إلا على اللعب ، «١» بينما الذكر والحركة فية هو جدّ وطاعة .

وتعريف الرقص اصطلاحاً : [هو الحركة الموزونة على ميزان نغمة مخصوصة] . «٢»

إذاً لايصح إطلاق كلمة الرقص على الحركة في الذكر ، إلا إذا أضيف إضافة بيانية ، كرقص الذاكرين ، أو رقص الصوفية ، فهذا يجوز عرفاً . لذا إطلاق كلمة الرقص يحمل على الرقص اللاهي الذي هو سمة الفاسقين

---

١ ـ أنظر القاموس المحيط للفيروزأبادي .

٢ ـ الحظر والاباحة ص ١٨٣ .

الحال والتظاهر بما ليس فيه حقيقة ، فهو حرام أيضاً لما يداخله من الرياء والتلبيس . وعلى هذين القسمين يحمل كلام من أطلق التحريم .

٢ ـ وأما القسم المباح فهو الذي يفعله الصالحون وأهل النسبة من غير وجد ولا تواجد ، وإنما يفعلونه راحة لنفوسهم وتنشيطاً لقلوبهم ، بشرط الزمان والمكان والإخوان ؛ خالياً من حضور ماتقدم من النساء والشبان . فهذا مباح إذ لاموجب للتحريم فيه ؛ إذ علة التحريم ما تقدم ، وهو خالٍ من ذلك . وأما مايقال إنه فعل السامرية[١] حين عبدوا العجل ، فعلى تقدير صحته فإنما حرم فعلهم لفساد قصدهم ، لأنهم قصدوا بذلك تعظيم العجل أو الفرح به ، وهذا كفر . ولو كان رقصهم خالياً من ذلك ما حرم

---

١ ـ فالذي شبه الذاكرين بالكاذبين ، وصوت العجل بذكر الذاكرين والاله بالعجل هو الجاحظ المعتزلي : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً)

عليهم . وقد ثبت أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله ﷺ حين قال رسول الله ﷺ : (أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي) ، وذكره الشيخ السنوسي[1] في نصرة الفقير وغيره .

٣ ـ وأما القسم المطلوب فهو رقص الصوفية أهل الذوق والحال ؛ إما وجداً أو تواجداً ؛ وسواءً كان ذلك في حضرة الذكر أو السماع ، ولا شك أن دواء القلوب من الغفلة ، وجمعَها بالله مطلوب بأي وجه أمكن مالم يكن بمحرم مجمع على تحريمه فلا دواء فيه . وقد تقدم قول الجنيد لما سئل عن السماع قال : كل مايجمع العبد على ربه فهو مباح][2] .

---

١ ـ هو محمد يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني ، أبوعبدالله عالم تلمسان في عصره وصالحها . له تصانيف كثيرة ولد عام ٨٣٢ وتوفي عام ٨٩٥ هـ عن الأعلام .

٢ ـ الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية لابن عجيبة ص ٢٨١ ٢٨٢ بتصرف واختصار .

فالقسم الأول يشاهَد عند أهل الفسق والمعاصي بمناسبات أفراحهم وأعراسهم، أو يشاهد عند الدخلاء على الصوفية؛ حيث يجتمعون نساءً ورجالاً، أو تحدوهم آلات اللهو فيرقصون متخنثين على نغمتها، فهذا حرام لاخلاف فيه. وإن ادعوا أنهم يذكرون الله في هذه المجالس فمثلهم كالذي يتوضأ بماءٍ نجس فهل يصح وضوؤه؟! فشأن أهل الفسق والمعاصي معروف، وأما الدخلاء على السادة الصوفية المبرئين من كل صفة دنية، فأول من تصدى لهم هم الصوفية أنفسهم الذين يحاسبون أنفسهم على أنفاسهم، ويستحضرون عظمة الرب لاصغر الذنب.

وإليك ما يقوله سيدي الشيخ عبدالقادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف. [إلا أن هناك جماعة من الدخلاء على الصوفية نسبوا أنفسهم إليهم وهم منهم براء، شوهوا جمال حلقات الأذكار بما أدخلوا عليها من بدع ضالة، وأفعال منكرة تحرمها الشريعة الغراء؛ كاستعمال

آلات الطرب المحظورة ، والاجتماع المقصود بالأحداث ، والغناء الفاحش فلم : يعد وسيلة عملية لتطهير القلب من أدرانه وصلته بالله تعالى ؛ بل صار لتسلية النفوس الغافلة ، وتحقيق الأغراض الدنيئة .

ومما يؤسف له أن بعض أدعياء العلم قد تهجموا على حلق الذكر ، ولم يميزوا بين هؤلاء الدخلاء المنحرفين وبين الذاكرين السالكين المخلصين الذين يزيدهم ذكر الله رسوخاً في الإيمان ، واستقامة في المعاملة ، وسمواً في الخلق واطمئناناً في القلب . وهناك علماء منصفون قد ميزوا بين الصوفية الصادقين السائرين على قدم الرسول الأعظم ﷺ وبين الدخلاء المارقين ، وأوضحوا حكم الله في الذكر ؛ وعلى رأسهم العلامة ابن عابدين في رسالته شفاء العليل] .«١»

---

١ ـ حقائق عن التصوف ص ١٩٠

وأما القسم الثاني من الرقص وهو المباح، فهو رقص خالٍ من التخنث، ومن جمع النساء والرجال، ومن آلات اللهو ومن أي محرم، إلا أن الإكثار منه قد يخل بالمروءة كما قاله بعض الفقهاء.

وأما القسم الثالث الذي هو الحركة بالذكر أو رقص الصوفية فهو مطلوب كما مر. وبالرغم من أن الحركة في الذكر ليست شرطاً فيه ولا أساساً في سير المريد إلى الله تعالى، فإنها تساعد على جمع القلب على الله سبحانه، وإشغال الجوارح بطاعة الذكر بهمة ونشاط، وسأورد الأدلة الشرعية من كتاب الله تعالى والسنة المطهرة وأقوال الفقهاء في المذاهب الأربعة.

كما أني عرضت هذه النصوص على الفقهاء بالمذاهب الأربعة بدمشق وهم أصحاب الفضيلة السادة:

١ ـ العلامة الشيخ ابراهيم اليعقوبي : حنفي المذهب ومفتي المالكية فتفضل ؛ بمراجعة الكتاب كاملاً والتقديم له كما تكرم بالتعليق على بعض مسائله أثبتها لأهميتها في ذيل الصفحات .

٢ ـ العالم الفاضل الشيخ أحمد الشامي الدومي : مفتي الحنابلة ؛ فأقرها وأيدها وسُرَّ بها كثيراً .

٣ ـ العالم الفاضل الشيخ محمود الحبال : مفتي الشافعية الملقب بالشافعي الصغير ؛ فأقرها وقال : إنها نصوص مسلَّم بها . ولا يُلتفت إلى المعوقين .

فجزاهم الله عنا كل خير .

أدلة الحركة في الذكر

أولاً : من كتاب الله تعالى

يقول الله تعالى : (الذينَ يَذكرونَ اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم)«١».

ويقول سبحانه وتعالى : (فَإِذا قَضَيْتُمُ الصلاة فاذكروا اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِكم)«٢».

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن :«٣» [ذَكَرَ الله تعالى ثلاث هيئات لايخلو ابن آدم منها في غالب أمره فكأنها تحصر زمانه ، ومن هذا المعنى قول عائشة رضي الله تعالى عنها : « كان رسول الله ﷺ

---

١ - سورة آل عمران آية (١٩١) .

٢ - سورة النساء آية (١٠٣)

٣ - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٣١٠ - ٣١١

يذكر الله على كل أحيانه » . أخرجه مسلم . . . إلى أن قال :
فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور إن شاء الله] .

قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني عند قوله تعالى :
(يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) بعد كلام طويل[1] : [وعليه فيحمل ماحكي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم ، من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم : أما قال الله تعالى : « يذكرون الله قياماً وقعوداً) فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم ، على أن مرادهم بذلك التبرك بنوعٍ موافقةٍ للآية في ضمن فرد من أفراد مدلولها][2] .

---

١ - تفسير الآلوسي الكبير روح المعاني ج٤ ص١٤٠ .
٢ - فالاستدلال بعموم الآية الأولى والآية الثانية التي تنص على جواز ذكر الله تعالى (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) المراد من
=

ويقول العلامة الكتاني : [غاية الرقص عند القوم ذكر من قيام ، وهو مشروع بنص القرآن الكريم (يذكرون الله قياماً وقعوداً) . وتمايل واهتزاز ؛ وهو منقول عن الصحابة ، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن الفضيل بن عياض : « كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تمايلوا كما تتمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم ترجع إلى وراء »"[1] .

= ذلك أنهم يذكرون الله على كل الأحيان والحالات كما ورد ذلك في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : « كان يذكر الله على كل أحيانه » وهذا من باب إطلاق النصوص وعموماتها ، ولم يوجد نص آخر يخصص هذا العموم أو يقيد هذا الاطلاق ، فيعمل بالمطلق على اطلاقه ، وبالعام على عمومه ، حتى يرد نص يخصصه . فاذا لم يرد نص يخصصه لايجوز إخراج فرد من أفراد مدلوله إلا بدليل ، وإخراج فرد من أفراده بدون دليل تحكم وتهجم على كتاب الله تعالى وتخصيص له بالرأي دون دليل .
العلامة ابراهيم اليعقوبي .

=١ ـ التراتيب الادارية للعلامة عبد الحي الكتاني ج ٢ ص١٤٣ .

ثانياً : من السنة المطهرة

الحديث الاول : روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبيه أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم .

وروي البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد .. إلى أن قالت : وهو ﷺ يقول : « دونكم يابني أرفِدة » حتى إذا مللت قال : « حسبك » قلت : نعم . قال : « فاذهبي » .

أما رواية الإمام أحمد في مسنده والسراج وابن حبان برجال الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون بكلام

لهم : محمد عبد صالح . فقال ﷺ : « ماذا يقولون ؟ »
فقيل : يقولون : محمد عبد صالح .

أ ـ قال النووي في شرح صحيح مسلم عند شرح « جاء حبش يَزْفِنون في يوم عيد في المسجد » : [هو بفتح الياء وإسكان الزاي وكسر الفاء ومعناه يرقصون . وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص][1] .

ب ـ وقال ابن حجر العسقلاني عند شرحه « دونكم يابني أَرفِدة » : [يقول دونكم بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء والمغرى به محذوف وهو لعبهم بالحراب . وفيه إذن وتنهيض لهم وتنشيط][2] .

كما أنه استنبط حكم جواز النظر إلى اللهو المباح حيث

---

١ ـ شرح صحيح مسلم للنووي ج ٦ ص١٨٦ .
٢ ـ فتح الباري ج ٢ ص ٤٤٤ .

يقول : [وفي الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح]«١».

فإذا كان النبي ﷺ يأذن لهم وينشطهم ويغريهم بلعبهم ولهوهم المباح ، وهو الرقص في مسجده . فكيف بالذاكرين الله عز وجل ؟ فإنه جائز لهم من باب أولى لأنه جِدٌ وطاعة .

ج ـ ونقل العلامة الكتاني بعد أن ذكر عدداً من الأحاديث منها حديث رقص الحبشة قوله : [فيها دلالة على أنواع من الرقص :

الأولا : اللعب ولايخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب .

والثاني : فعل ذلك في المسجد .

والثالث : قوله عليه الصلاة والسلام : « دونكم يابني أَرفِدة » . وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقرر كونه حراماً .

---

٢ ـ فتح الباري ج ١ ص٥٤٩ .

والرابع : منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الإنكار والتغيير ، وتعليله بأنه يوم عيد أو وقت سرور .

والخامس : وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها]«١».

ونقل العلامة الكتاني من قول القاضي عياض مانصه : [فيه أقوى دليل على إباحة الرقص ، إذ زاد النبي ﷺ على إقرارهم أن أغراهم . ا . ه نقله المواق «٢» في سنن المهتدين ، والونشريسي «٣» في المعيار وأقراه]«٤».

---

١ - التراتيب الادارية ج٢ ص١٤٤ - ١٤٥ . وهو كلام الامام الغزالي في الاحياء .

٢ - المواق هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي ، أبو عبد الله المواق ، فقيه مالكي . وكان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته . توفي عام ٨٩٧ هـ .

٣ - الونشريسي هو أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني أبو العباس . فقيه مالكي توفي عام ٩١٤ هـ .

٤ - التراتيب الادارية ج٢ ص١٤٣ .

وقال العلامة الكتاني أيضاً : [وحيث لم ينههم بل أقرهم وأغراهم فهو ذكر قُصِدَ به التعبد والطاعة وإظهار الفرح بالله وبرسوله ﷺ ، فلذلك أقرهم عليه الصلاة والسلام ، وعجب من فعلهم ونالوا غاية الرضى منه]«١».

د - ويقول حجة الإسلام الإمام الغزالي : [والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط . فكل سرور مباح يجوز تحريكه . ولو كان حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزْفنون]«٢».

الحديث الثاني : أخرج أبو داوود من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي : « أنت مني وأنا منك » فحجل علي . وقال لجعفر بن أبي طالب « أشبهت خَلقي

---

١ - التراتيب الادارية ج٢ ص١٤٣ .
٢ - احياء علوم الدين ج٢ ص٣٠٤ . يزفنون : يرقصون .

وخُلقي » فحجل جعفر . وقال لزيد بن حارثة : « أنت أخونا ومولانا » . فحجل زيد ... الحديث "١".

أ ـ قال ابن حجر العسقلاني عند شرح الحديث : [وحَجِل بفتح المهملة وكسر الجيم أي وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة] "٢".

ب ـ وقال العلامة الكتاني : [والحجل بحاء فجيم فلام كسبب رقص على هيئة مخصوصة] "٣".

ج ـ ويقول مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة العلامة الكبير أحمد زيني دحلان رحمه الله في كتابه المشهور في السيرة النبوية عند ذكره الحديث مانصه : [فرقص ـ يعني

---

١ ـ ذكره ابن حجر في فتح الباري من رواية الامام أحمد ، وخرجه العراقي بكتابه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بهامش الاحياء ج ٢ ص ٣٠٤ باسناد حسن من رواية أبي داود .

٢ ـ فتح الباري ج ٧ ص ٥٠٧ .

٣ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٤٩ .

جعفر ـ رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ، فلم ينكر عليه ﷺ وجعل ذلك أصلاً لرقص الصوفية عندما يجدون من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع] .«١»

الحديث الثالث : روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر : « أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً » .فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال : حسبك يارسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب بالدرع ، وهو يقول : « سَيُهزَمُ الجمعُ ويولُّون الدُبُرَ . بل الساعةُ موعدُهم والساعةُ أَدهى وأَمَرُّ »«٢»

الشاهد فيه جواز قراءة كلام الله سبحانه وتعالى في

---

١ ـ السيرة النبوية والآثار المحمدية لزيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٢ .

٢ ـ كذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد ابن مهران الحذاء به ، كذا في تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٦٦ .

حالة الوثب وهو الطفر والقفز ، فجواز ذكر الله تعالى في هذه الحالة من باب أولى .

الحديث الرابع : أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة يقول : صليت مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً ، يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم ... الحديث[1].

---

١ ـ كذا في البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٦ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٧٦ ، والدينوري والعسكري وابن عساكر في الكنز ج ٨ ص ٢١٩ كما في حياة الصحابة ج ١ ص ٤٩ .

قال سيدي الشيخ عبد القادر عيسى حفظه الله تعالى :

[ويهمنا من عبارة الإمام علي رضي الله عنه قوله : مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح . فإنك تجده صريحا في الاهتزاز ، ويُبطل قول من يدعي أنه بدعة[1] محرمة ويثبت إباحة الحركة في الذكر مطلقاً .

وقد استدل الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله بهذا الحديث في إحدى رسائله على ندب الاهتزاز بالذكر ، وقال : [هذا صريح بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر][2] .

---

١ ـ يقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام : (البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله ﷺ . وهي مقسمة إلى : بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، مباحة ، معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة) ، قواعد الاحكام ج ٢ ص ٢٠٤ .

٢ ـ حقائق عن التصوف ص ١٨٩ .

الحديث الخامس : أخرج أبو نعيم في الحلية عن الفضيل ابن عياض : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تمايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم إلى وراء "[1]".

الحديث السادس : روى مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل أحيانه .

الحديث السابع : عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ». وفي رواية : « حتى يقال إنه مجنون »"[2]".

الشاهد فيه أن الذاكر لله تعالى إن كان ساكناً لا موجب لقول الناس عنه مجنون لو لم يُرَ بحالة وهيئة

---

١ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٤١ .

٢ ـ رواه أحمد وأبويعلى والبيهقي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وكذا ابن حبان ، والحاكم وصححاه . كما في كشف الخفا ج ١ ص ١٨٧ .

تدفع غيره من الغافلين إلى إلقاء تهمة الجنون عليه .

الحديث الثامن : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له جُمدان . فقال : « سيروا هذا جمدان ، سبق المفَرِّدون » . قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً »[1] ورواية الترمذي : « يارسول الله وما المفردون ؟ قال : « المُستَهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » .

والمستَهْتَرون بصيغة اسم المفعول هم المولعون بالذكر المداومون عليه ، لايبالون ماقيل فيهم ، ولا مافعل بهم .[2]

---

١ ـ رواه مسلم في صحيحه .
٢ ـ وقد يقول قائل : إن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لم يفعلوا ذلك ، وعدم فعلهم دليل على عدم جوازه .

ثالثاً : من أقوال السادة الفقهاء

أ ـ أقوال الفقهاء الحنفية :

١ ـ قال العلامة المرحوم محمد أمين عابدين في حاشيته الشهيرة رد المحتار على الدر المختار ، بعد كلام طويل مانصه : [وخلاصة ماأجاب به العلامة النحرير ابن كمال باشا بقوله :

مافي التواجد إن حققت من حرج

ولا التمايل إن أخلصت من باس

والجواب على ذلك أنه قد مر إثبات جواز ذلك بالكتاب والسنة ؛ قولاً في حديث الحبشة لأنه عليه الصلاة والسلام أغراهم وقال : « دونكم يابني أرفدة » وفعلاً في حديث عائشة : كان يذكر الله على كل أحيانه . وإقراراً في حديث الحبشة وحجل جعفر .

والنبي عليه الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم كانوا منصرفين للجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الاسلام والفتوح ، ولم يكن وقتهم متسعاً لفعل كل مفردات هذه الكليات فيكفي أنهم فعلوا بعضها ، وأقروا بعضها ، وجاء ذكر عمومها في القرآن الكريم . اهـ . للعلامة إبراهيم اليعقوبي

فقمت تسعى على رِجلٍ وحُقَّ لمن
دعاه مولاه أن يسعى على الراسِ

الرخصة فيما ذكر من الأوضاع، عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال، السالكين المالكين اضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال، فهم لا يستمعون إلا من الإله، ولا يشتاقون إلا له، إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا، إذا غلب عليهم الوجد بغلباته، وشربوا من موارد إراداته، فمنهم من طرقته بوارق الهيبة فخر وذاب، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب، ومنهم من طلع عليه الحِبُّ من مطلع القرب فسكر وغاب، هذا ما عنّ لي في الجواب، والله أعلم بالصواب]«١».

١ _ حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٤ ص ٢٥٩ .

٢ ـ وميز العلامة ابن عابدين في رسالته شفاء العليل بين الصوفية الصادقين السائرين على قدم الرسول ﷺ، وبين الدخلاء المارقين. وندد بالدخلاء على الصوفية، واستعرض بدعهم ومنكراتهم في الذكر، وحذر منهم ومن الاجتماع بهم، ثم قال: [ولا كلام لنا مع الصُّدَّق من ساداتنا الصوفية، المبرئين من كل خصلة ردية، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواماً يتواجدون ويتمايلون؟ فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحون... إلى أن قال: ولا كلام لنا مع من اقتدى بهم، وذاق من مشربهم، ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلام، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللئام...] "[1]".

٣ ـ وقال العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد البرهاني في تعليقاته على الهدية العلائية: [ولاشك أن التواجد

---

١ ـ مجموعة رسائل ابن عابدين ـ الرسالة السابعة ـ شفاء العليل وبل الغليل لخاتمة محققي الحنفية ابن عابدين. ص١٧٢ ـ ١٧٣.

هو تكلف الوجد وإظهاره من غير أن يكون له وجد حقيقة ، ففيه تشبه بأهل الوجد الحقيقي ، وهو جائز بل مطلوب شرعاً بقوله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه الطبراني في الأوسط . وإنما كان المتشبه بالقوم منهم لأن تشبهه بهم يدل على حبه إياهم ، ورضاه بأحوالهم وأفعالهم ، وقد قال ﷺ : « إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فله مثل عمله » . رواه الطبراني . وذكر النووي رحمه الله أن في هذا الحديث فضل حب الله تعالى ورسوله ﷺ وحب الصالحين الأحياء والأموات .

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا   إن التشبه بالكرام فلاح

إلى أن قال : والحاصل أن تكلف الكمال من جملة الكمال ، والتشبه بالأولياء لمن لم يكن منهم أمر مطلوب مرغوب فيه على كل حال] [1] :

---

١ ـ هامش الهدية العلائية ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ . باختصار .

ب - أقوال الفقهاء الشافعية :

ينص الإمام النووي عمدة المذهب في كتابه منهاج الطالبين وعمدة المفتين، بعد أن ذكر عدداً من المحرمات، نفى منها الرقص فيقول مانصه : « لا الرقص ؛ إلا أن يكون فيه تكسر كفعل المخنث » .

يقول الرملي[1] في كتابه نهاية المحتاج في شرح المنهاج : [« لا الرقص » فلا يحرم ولا يكره ؛ لأنه مجرد حركات على استقامة واعوجاج، ولإقراره صلى الله عليه وسلم الحبشة عليه في مسجده يوم عيد .

ويقول عند قول النووي « إلا أن يكون فيه تكسر[2] كفعل المخنث » : بكسر النون وهذا أشهر

---

١ - شمس الدين الرملي (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى يقال له الشافعي الصغير، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولي إفتاء الشافعية، وجمع فتاوي أبيه، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة .

٢ - يفسر التكسر بالتثني وهو أن المرأة من عادتها إذا مشت ==

وهو أفصح ، فيحرم على الرجال والنساء ، وهو مَن يتخلق بخلق النساء حركة وهيئة] "[1]".

وقال النووي في الروضة : [والرقص ليس بحرام] "[2]".

وتجدر الإشارة إلى خطأ مَنْ وقف عند كلمة : تكسر ، وأغمض عينيه عما قبلها وبعدها ، وفسرها بانثناء الركبة ، فلو كان انثناء الركبة محرماً لذاته لحرم الرَمل في الطواف والهرولة في السعي ، ولحرم المشي لأنه يتعذر على الإنسان المشي السوي بدون ثني ركبته ، فكلمة تكسر استعملها الفقهاء لعدم وجود أي دليل يحرم الرقص مطلقاً من كتاب الله أو السنة المطهرة . وإنما علة التحريم هي التشبه بالمخنثين ،

= خصوصاً في بيتها وأمام زوجها تنثنى وتمايل يميناً ويساراً لأجل أن تلفت نظر زوجها إليها بحركاتها ، كما تلفت نظره إليها بجمالها وبلباسها . ا هـ . للعلامة اليعقوبي .

١ - نهاية المحتاج في شرح المنهاج للرملي ج ٨ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

٢ - روضة الطالبين للامام النووي ج ١١ ص ٢٢٩ .

والعلة تدور مع المعلول وجـوداً وعدماً . والفقهاء عرفوا المخنث بأنه من يتخلق بخلق النسـاء حركة وهيئة . كما ذكره الرملي في نهاية المحتاج .

غير أني لم أجد هذا المعنى المتعسف في أمهات معاجم اللغة العربية كلسان العرب والقاموس المحيط ، وتاج العروس وغيرها . وجاء في المعجم الوسيط : [ويقال : فلان فيه تخنث وتكسر : تفكك . ورأيته متكسراً : فاتراً] . والقاعدة الأصولية تقول : إذا تعارض معنى شرعي ومعنى لغوي قدم المعنى الشرعي . ولذا فلا يلتفت إلى هذا الادعاء .

٢ ـ فتوى العلامة ابن حجر الهيتمي المكي : إن ماورد في كتاب كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، لابن حجر محمول على من أطلق عليهم عنوان كتابه وهم الرعاع أي الطغام الأحداث ، في ارتكابهم لمحرمات اللهو والغناء ، وهذا ينطبق على النوع الأول من الرقص كما مر ، وهو الرقص اللاهي المترافق بآلات الطرب وغيرها من المحظورات ،

ترهيباً لهم من منكراتهم ، وردعاً لمن تشبه منهم بالسادة الصوفية ، وهم منهم براء . وليس قصده رقص الصوفية الذي ليس بلهو ، وحاشاهم من ذلك . وإليك ماينقله العلامة الكتاني : [فإن الرقص الذي أثبته الصوفية ليس قصدهم منه اللهو ، وحاشاهم من قصد ذلك ، وإنما قصدهم به الاجتماع على الذكر ، والإقبال عليه بالقلب والقالب ، واستغراق الجوارح كلها فيه]«١». ولذلك قال ابن حجر نفسه مبرئاً إياهم عند ذكره لعدة تقول : [فيها ردع لمن زعم تصوفاً وسلوكاً لطريق القوم ، المبرئين عن السفاسف واللوم]«٢» .

وإليك فتوى العلامة ابن حجر نفسه في فتاويه الفقهية الكبرى : [وأما الرقص فلا يحرم ، لفعل الحبشة له في حضرته ﷺ مع تقريرهم عليه]«٣».

---

١ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٤٣ .

٢ ـ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ص٢٨٧ .

٣ ـ الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي ج٤ ص٣٥٦ .

وسئل نفع الله به عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل ؟. فأجاب بقوله : [نعم له أصل . فقد روي في الحديث « أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : « أشبهت خَلقي وخُلقي » . وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه ﷺ : وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ، منهم عز الدين شيخ الإسلام ابن عبد السلام] «١»

٣ ـ فتوى العلامة شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي :

جاء في الحاوي للفتاوي ما يلي : مسألة في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ، ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذاكراً واستمر على ذلك لوارد حصل له . فهل له ذلك سواء باختيار أم لا ؟ وهل لأحد منعه وزجره من ذلك ؟ .

---

١ ـ الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي المكي ص ٢٩٨ .

الجواب : لاإنكار عليه في ذلك .وقد سئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني «١» فأجاب بأنه لاإنكار عليه في ذلك ، وليس لمانعٍ التعدي بمنعه ، ويلزم المتعدي بذلك التعزير . وسئل عنه العلامة برهان الدين الأبناسي فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب ، والمنكر محروم ، ماذاق لذة التواجد ، ولاصفا له المشروب . . . إلى أن قال في آخر جوابه : وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم وأجاب أيضاً بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة . أقول : وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً وقد قال الله تعالى : (الذينَ يذكرونَ اللهَ قِياماً

---

١ ـ هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري الشافعي ، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث ، من العلماء بالدين . ولي قضاء الشام عام ٧٦٩ هـ توفي بالقاهرة عام ٨٠٥ هـ

وقعوداً وعلى جنوبهم). وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه». وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم، فذلك من لذات الشهود أو المواجيد وقد ورد في الحديث رقصُ جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي ﷺ لما قال له: «أشبهت خَلقي وخُلقي»، وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ. فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد. وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام]"[1].

ج ـ أقوال الفقهاء المالكية:

١ ـ نقل العلامة الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية في باب رقص الحبشة في المسجد النبوي أمامه عليه الصلاة

---

١ ـ الحاوي للفتاوي ج٢ ص٤٤٥.

والسلام مانصه : [وقال القاضي عياض[1] : فيه أقوى دليل على إباحة الرقص إذ زاد النبي ﷺ على إقرارهم أن أغراهم . ا هـ . نقله المواق في سنن المهتدين والونشريسي في المعيار ، وأقراه][2] .

٢ ـ وقال ابن ليون التجيبي[3] مانصه : [وأما الرقص في المسجد ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « جاء جيش من الحبشة يزفنون يوم عيدهم في المسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ ، فوضعت كفي على منكبه ،

---

١ ـ القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته . كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولي قضاء سبتة ، ومولده فيها ، ثم قضاء غرناطة . وتوفي بمراكش عام ٥٤٤ هـ .

٢ ـ التراتيب الادارية ج٢ ص ١٤١ .

٣ ـ هو سعد بن أحمد بن ليون التجيبي ، أبو عثمان ، فقيه مالكي من علماء الأندلس وأدبائها المقدمين له أكثر من مئة مصنف توفي نحو عام ٧٥٠ هـ .

فجعلت أنظر إلى لعبهم . قال ابن عيينة : والزفن الرقص . فثبت أن الرقص في أصله مباح ، ولو كان حراماً لذاته مافُعل بين يدي رسول الله ﷺ][1] .

٣ ـ قدمنا فيما سبق تقسيم ابن عجيبة للرقص إلى ثلاثة أنواع ، ثم قال : [وأما القسم المطلوب فهو رقص الصوفية أهل الذوق والحال إما وجداً أو تواجداً ، وسواء كان ذلك في حضرة الذكر أو السماع . ولاشك أن دواء القلوب من الغفلة وجمعها بالله مطلوب بأي وجه أمكن ، مالم يكن بمحرم مجمع على تحريمه[2] فلا دواء فيه . وقد تقدم قول الجنيد لما سئل عن السماع قال : كل مايجمع العبد على ربه فهو مباح . وقال : وقد ثبت أن جعفر بن أبي طالب

---

١ ـ الفتوحات الالهية شرح المباحث الاصلية ص ٢٨٢ .

٢ ـ وقد نص العلماء والفقهاء على أنه لايجوز إنكار المنكر إلا إذا اتفقت الأئمة على إنكاره ، فان لم يكن إجماع على إنكاره لايجوز الانكار . ا هـ . للعلامة اليعقوبي .

رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله ﷺ حين قال: « أشبهت خَلقي وخُلقي » . وذكره الشيخ السنوسي في نصرة الفقير وغيره، وقال: قلت: وقد تواتر النقل عن الصوفية قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله، ويقومون ويرقصون، ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين[1] أنه أنكر عليهم . وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب، مع توفر العلماء، فلم ينكر أحد عليهم. وقد بلغني أن شيخنا شيخ الجماعة سيدي التاودي[2] بن

---

١ ـ بل لو استقرأنا تراجم العلماء منذ نشأة التصوف إلى الآن لوجدنا أكثرهم أوكلهم قد اتخذ مبدأ التصوف وعمل به وألف فيه وكان من أئمته . ولا يعتبر من شذ لعدم اطلاعه أو لعناده وجهله اهـ . للعلامة اليعقوبي .

٢ ـ هو محمد بن الطالب بن علي بن سودة التاودي ١١١١ ـ ١٢٠٩ هـ المري الفاسي، فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس ذاعت شهرته بعد رحلة قام بها إلى مصر والحجاز .

سودة كان يحضر معهم في بعض الأحيان، فلا ينكر على الفقراء الرقص إلاّ في حال ذكرهم مقلد جامد أو معاند جاحد]«١».

ح ـ أقوال الفقهاء والحنابلة :

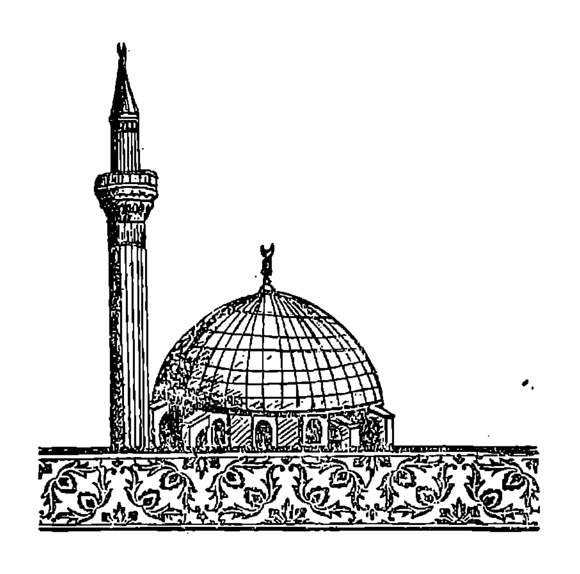
١ ـ قال العلامة محمد السفاريني الحنبلي : [نقل ابراهيم بن عبد الله القلانسي أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال عن الصوفية : لا أعلم أقواماً أفضل منهم . قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون : قال : دعوهم يفرحون مع الله ساعة. قيل : فمنهم من يموت ومنهم من يغشى عليه . فقال : وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون.) ذكره الإمام العلامة في الفروع]«٢».

٢ ـ قال العلامة ابن القيم الجوزية : [والتكلف والتعمل في أوائل السير والسلوك لابد منه ؛ إذ لا يطالب صاحبه

---

١ ـ الفتوحات الالهية شرح المباحث الأصلية ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
٢ ـ غذاء الألباب لمحمد السفاريني ج ١ ص ١٢٩ .

بما يطالب به صاحب الحال . ومن تأمله بنية حصول الحقيقة لمن رصد الوجد لايذم ، والتواجد يكون بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة ، والمواجيد لمن يتأوله من أحكام باطنة] . «١»



---

١ ـ مدارج السالكين للامام العلامة ابن القيم الجوزية ج ٣ ص ٦٩ .

رابعاً : تواجد بعض كبار الأئمة والعلماء والدعاة

١ ـ لقد سبق قول الإمام السيوطي . [وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ، منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام]"١". وأثبت أيضاً العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثية ما صححه الإمام السيوطي"٢".

٢ ـ وينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن سيدي الشيخ الغوث أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وهو المعروف بإمامته في التصوف والتقوى والعلم والدعوة إلى الله تعالى ، أنه كان يقيم الحضرات فيقول : [وها أنا أحضر الحضرات الشاذلية في المكان نفسه الذي كان يقيمها فيه أبو الحسن رضي الله تعالى عنه] "٣".

١ ـ الحاوي للفتاوى للسيوطي ج٢ ص٤٤٥ .
٢ ـ الفتاوى الحديثية ص ٢٩٨
٣ ـ كتاب أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص ٦ .

والحضرة مأخوذة من الحضور، وهو حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق . والحضرة مازالت تقام في الطريقة الشاذلية إلى اليوم . وهي حلقة ذكر من قيام ؛ يتحرك فيها الذاكر إما وجداً أو تواجداً ليدفع عنه الغفلة والكسل، وليشغل جوارحه مع قلبه في طاعة الذكر لله تعالى.

٣ ـ شيخ الإسلام العز بن عبد السلام : لقد ثبت أن العز بن عبد السلام كان يرقص ويتواجد في مجالس الذكر . ولا يلتفت إلى من استغربه من شيخ الإسلام بحجة أن طبيعته كانت جدية ، وما وقع بهذا الخطأ إلا لأنه اعتبر الحركة في الذكر لهواً وهزلاً .

والرد عليه أن الحركة في الذكر جد وليست لهواً ؛ بل التصوف كله جد ليس فيه هزل كما قال الجرجاني في تعريفاته : [التصوف مذهب كله جد، فلا يخلطونه بشيء من

الهزل] "١". ولاسيما الحركة في الذكر ، أوما يسمى برقص الصوفية في مجالس ذكرهم .

وإليك ماينقله العلامة الكتاني وقد سبق بعضه : [إن الرقص الذي أثبته الصوفية ليس قصدهم منه اللهو ، وحاشاهم من قصد ذلك ، وإنما قصدهم به الاجتماع على الذكر ، والإقبال عليه بالقلب والقالب ، واستغراق الجوارح كلها فيه ، وهو قصد صحيح ؛ لما جاء من الترغيب في الإكثار من الذكر على أي حال كان الذاكر]"٢".

وما ورد عن شيخ الإسلام رضي الله تعالى عنه بأنه أنكر الرقص فهو محمول على النوع الذي هو محرم ، وهو الرقص اللاهي كما سبق تفصيله ، ولقد أثبت تواجد شيخ الإسلام ورقصه في مجالس الذكر كبار الأئمة ، منهم

---

١ ـ التعريفات للسيد الجرجاني ص ٥٢ .
٢ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٤٣ .

الإمام الذهبي«١»، والكتبي«٢». واليافعي«٣»، وغيرهم .

قال الإمام الذهبي : [كان يحضر السماع ويرقص]«٤».

وقال اليافعي : [إنه كان يحضر السماع ويرقص]«٥»

وقال الكتبي : [كان يحضر السماع ويرقص ويتواجد]«٦»

---

١ ـ الامام الذهبي هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ مؤرخ ، علامة محقق ، مولده ووفاته في دمشق ، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، له تصانيف كبيرة كثيرة تقارب المئة توفي عام ٧٤٨ هـ .

٢ ـ الكتبي : هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي صلاح الدين ، مؤرخ باحث ، عارف بالأدب ، نشأ وتوفي بدمشق عام (٧٦٤) هـ .

٣ ـ اليافعي : هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي عفيف الدين ، مؤرخ باحث ، من شافعية اليمن ، توفي عام ٧٦٨ هـ .

٤ ـ شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ج٥ ص ٣٠٢ .

٥ ـ مرآة الجنان لليافعي ج٤ ص١٥٤ .

٦ ـ فوات الوفيات للكتبي ج١ ص ٥٩٥ .

ونقل السيوطي عن القطب اليونيني[1] أن شيخ الإسلام كان يحضر السماع ويرقص فيه. وصحح ذلك كل من الإمام السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي، والعلامة ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه الفتاوى الحديثية كما سبق.

٤ ـ الداعية الكبير حسن البنا[2] : جاء في كتابه مذكرات الدعوة والداعية أنه كان مواظباً على حضرات الذكر الشاذلية. وفي ذلك يقول: [وواظبت على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة][3]. ويقول في موطن آخر

---

١ ـ اليونيني: هو موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي، قطب الدين أبو الفتح، مؤرخ ولد وتوفي بدمشق عام ٧٢٦ هـ وكان فاضلاً مليح المحاضرة معظماً جليلاً.

٢ ـ ويذكر العلامة اليعقوبي أنه لما جاء الشيخ حسن البنا إلى دمشق أخذ الطريقة عن السيد محمد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء، واجتمع بالشيخ ابراهيم الغلاييني والشيخ محمد الهاشمي، وكان يحضر في مجالسهم وحضراتهم، ويتبرك بهم ولم يترك ورد الطريقة الشاذلية إلى أن مات رحمه الله.

٣ ـ مذكرات الدعوة والداعية للشيخ حسن البنا ص ٢٥.

من نفس المصدر : [كما كنت أجد متعة كبرى في الحضرة عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع في منزل الشيخ الحصافي ، ثم في كثير من ليالي الأسبوع في منزل الخليفة الأول للشيخ الحصافي علي أفندي غالب ، أوسيدنا الأفندي كما نسميه دائماً قواه الله وجزاه عنا خيراً]"[١]".

وبعد . فهذه الأدلة القاطعة والملزمة من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ قولاً وفعلاً وإقراراً ، وعمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأقوال كبار العلماء والأئمة في الفقه والعلوم الشرعية الأخرى ، كافية في إقناع من توخى الحق والتزم نصوص الشرع . أما المعاند الجاحد ، أو المقلد الجامد ، فلا كلام لنا معه ، ونسأل الله تبارك وتعالى له الهداية والصواب . ولا أقول إني أتيت في هذه الرسالة المختصرة على جميع الأدلة الشرعية ، ولكن بعض ما

---

١ ـ نفس المصدر السابق ص ٧٥ .

أتيت به كافٍ . كما أني لم أنقل في هذه الرسالة من أقوال العلماء الصوفية إلا النزر اليسير ، بالرغم من أَنهم حجة في علومهم كما ذكر ذلك الشاطبي في الموافقات حيث قال : [الصوفية حجة في علومهم ، وهم صفوة الله من خلقه باتفاق . وقال أيضاً : جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من غير تمييز بعد الرسل والأنبياء] «١» .

وأَخيراً أَنقل نصيحة العلامة ابن حجر الهيتمي المكي حيث قال : [وينبغي للانسان حيث أَمكنه عدم الانتقاد على السادة الصوفية ، نفعنا الله بمعارفهم ، وأفاض علينا بواسطة محبتنا لهم ماأفاض على خواصهم ، ونظمنا في سلك أتباعهم ، ومنّ علينا بسوابغ عوارفهم ، وأن يسلم لهم أحوالهم ماوجد لهم محملاً صحيحاً يخرجهم عن ارتكاب المحرم . وقد شاهدنا من بالغ في الانتقاد عليهم مع نوع

---

١ ـ عن رسالة الناصر معروف ص ٥٧ .

تعصب فابتلاه الله بالانحطاط عن رتبته ، وأزال عنه عوائد لطفه وأسرار حضرته ، ثم أذاقه الهوان والذلة ورده إلى أسفل سافلين بكل علة ومحنة . فنعوذ بك اللهم من هذه القواصم المرهفات والبواتر المهلكات ، ونسألك أن تنظمنا في سلكهم القوي المتين ، وأن تمن علينا بما مننت عليهم حتى نكون من العارفين والأئمة المجتهدين ، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير]"[1] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



---

١ ـ الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي المكي ص ٨١ .

مصادر الرسالة

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٣ ـ تفسير القرطبي .
٤ ـ 〃 الالوسي .
٥ ـ 〃 ابن كثير .
٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .
٧ ـ شرح صحيح مسلم للنووي .
٨ ـ سنن الترمذي .
٩ ـ 〃 أبي داود .
١٠ ـ 〃 النسائي .
١١ ـ 〃 ابن ماجه .
١٢ ـ مسند الامام أحمد .
١٣ ـ الجامع الصغير للسيوطي .
١٤ ـ الترغيب والترهيب المنذري .
١٥ ـ حياة الصحابة للكاندهلوي .
١٦ ـ الاذكار للنووي .
١٧ ـ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان .
١٨ ـ الفتوحات الربانية على الاذكار النووية لابن علان .
١٩ ـ نور التحقيق لحامد صقر .
٢٠ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي .
٢١ ـ كشف الخفا للعجلوني .
٢٢ ـ المقاصد الحسنة للسخاوي .
٢٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير .
٢٤ ـ حقائق عن التصوف لسيدي عبد القادر عيسى .
٢٥ ـ نهاية المحتاج شرح المنهاج الرملي .
٢٦ ـ روضة الطالبين للنووي .
٢٧ ـ قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام .

٢٨ ـ الفتاوي الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي .
٢٩ ـ الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي .
٣٠ ـ الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي .
٣١ ـ حاشية ابن عابدين لمحمد أمين عابدين .
٣٢ ـ الهدية العلائية لعلاء الدين عابدين
٣٣ ـ الحظر والاباحة للنحلاوي .
٣٤ ـ الفتوحات الالهية شرح المباحث الاصلية لابن عجيبة .
٣٥ ـ مدارج السالكين لابن القيم الجوزية
٣٦ ـ التراتيب الادارية للكتاني .
٣٧ ـ شذرات الذهب لعبدالحي الحنبلي
٣٨ ـ مرآة الجنان لليافعي .
٣٩ ـ فوات الوفيات للكتبي .
٤٠ ـ غذاء الالباب لمحمد السفاريني .
٤١ ـ مجموعة رسائل ابن عابدين .
٤٢ ـ التعريفات للجرجاني .
٤٣ ـ الطبقات الكبرى للسبكي .
٤٤ ـ رسالة الناصر معروف لابن عليوة .
٤٥ ـ لسان العرب لابن منظور .
٤٦ ـ تاج العروس للزبيدي .
٤٧ ـ القاموس المحيط للفيروزابادي .
٤٨ ـ المعجم الوسيط .
٤٩ ـ احياء علوم الدين للغزالي .
٥٠ ـ السيرة النبوية والآثار المحمدية لزيني دحلان .
٥١ ـ كف الرعاع لابن حجر .
٥٢ ـ مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا .
٥٣ ـ أثر الاضطرابات النفسية على الوظائف الغدية .
٥٤ ـ مجلة العلوم ...
٥٥ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الاثير
٥٦ ـ الاعلام للزركلي .

الفهرس

الفهرس

إلى القاريء الكريم

وقعت أثناء الطبع بعض الأخطاء المطبعية يرجى الانتباه إليها وتصحيحها وفق الجدول الآتي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	٧	الترمزي	الترمذي
٦٢	٥	نوبات	نُويَات
٦٨	١	الربو الفصيبي	الربو القصبي
٧٢	١٣	بالأستجواب	بالاستجواب
٧٦	١٥	الإطراب	الاضطراب
٧٥	٥	فية	فيه
٨٩	٩	الأولا	الأولى
٩٥	١٢	مباحة	بدعة مباحة
٩٥	١٣	معرفة ذلك	ومعرفة ذلك
١١٢	٣	ح - أقوال	د - أقوال

وهناك هفوات أخرى لاتخفى القارىء اللبيب فمعذرة

هذا الكتاب

يعرض لآثار الحضارة المادية وانعكاساتها السيئة على صحة الإنسان، ثم يعرج على طمأنينة القلب وآثارها على الصحة العامة، ويبين السبيل إلى ذلك من كتاب الله تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب».

ثم يتحدث عن الذكر وأثره في طمأنينة القلب وسعادة الإنسان، وعن الذاكرين وسماعهم وتواجدهم ويبين حكم ذلك في الشريعة الغراء معتمداً على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال الأئمة المجتهدين والدعاة المخلصين.

مطبعة الرشيد حلب ٣٦٦٤٤

السعر ١٥ ل